حجورنا، وأرضعناك بثُـدِيِّنا.. ونحـن مـع ذلك أصـلك وعشيرتك».. إلى آخر ما قال فى خطبته تلك، مما أثار فى نفس الرسول عاطفة الرحمة لهؤلاء الأهل والعشيرة، فرد عليهم كل ما أخذ منهم، وجعل يستعطف الناس لهم حتى أرضاهم.

فاتجه نحو ثقيف

كان من الطبيعى إذن أن يتجه رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرّحم، ليعرض عليهم دين الحق، وليطلب النصر والمنعة فيهم، حتى يبلغ رسالة ربه، بعد أن تنكرت له قريش، ووقفت منه موقف العناد والصد عن سبيل الله. وكذلك فعل صلى الله عليه وسلم؛ فقد خرج إلى الطائف فى شوال من السنة العاشرة يلتمس النصر والمنعة عند ثقيف. والشُّقَّة بين مكة والطائف ليست شقة سهلة؛ فهى مسافة تزيد على مائة وعشرين ميلاً، يقطعها الراكب فى نحو أربعة أيام، بين جبال وَعْرة، ووهاد مقفرة. وقد آثر رسول الله ﷺ أن يقطع هذه الشقة ماشيًا، لأنه - فيما يُظَن - قد خرج إلى هذا القصد خُفية، حتى لا تعلم قريش بوجهه الذى يريده. ولعله كان يقدر عواقب الإخفاق لو أخفق، حتى لا تشمت به قريش وتشتد فى طغيانها عليه. وأكثر الرواة على أنه لم يكن فى هذه الرحلة منفردًا، وأن مولاه زيد بن حارثة كان فى صحبته.